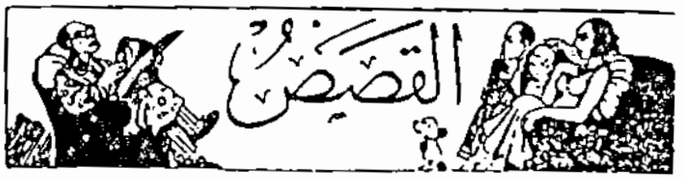

طبيعـــة مبهمة !

للكاتب الروسي أنطونه تشيكوف

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

مالت السيدة الوضيئة جانباً ، وهي جالسة على مقعد وثير مغطى بالمخمل الأحمر في عربة فاخرة من عربات السكة الحديدية ! . قد ضمت أناملها البضة الرقيقة مروحة مريشة أنيقة الصنع رائعة وشي .. راحت تهتز وتتراقص عن يمين تارة وعن شمال ! ..

وطفق المنظار الملقى على أنفها الدقيق الفاتن لا يقر له قرار ، بينما بدت « الحلية الماسية » مشرقة تتألق على جيدها كزورق سبح في ماء المحيط ! ..

وجلس في مقعد قبالتها الناموس [1] الإقليمي للجموعيات الخاصة وهو شاب حديث النبت في الأدب ، يخرج على القوم بين حين وحين بقصص طوال — من النسق الرفيع كما يحلو له أن يسميها — ينشرها في جريدة الإقليم ...

راح يحملق في صفحة وجهها ، ويحدق عن قصد لا يحول .. بين العارف الخبير ! إنه يتأمل ويدرس .. ويتصيد ظلالا عابرة أطيافاً حائرة بين ثنايا هذه الطبيعة المبهمة ، والغموض يكتنفها !

إنه يحاول أن يفهمها ويسبر غورها .. فروحها ونفسها .. كلتاهما مبسوطة بينة الجلاء أمام ناظريه ..

ثم لم يلبث أن قال لها ، وهو يلثم رسغها البض على مقربة من السوار ! .

« آه .. لقد أدركت ! . أدركت إلى أبعد مدى ما يدور بين جوانحك .. إن روحك ذات الحس المرهف والأمل الطامح ..

(١) « الناموس » هي الترجمة الصحيحة ان يدعى « الكرنيه » . « جبل »

تسعى في سبيل الخلاص من ربقة الحيرة الطاغية ، والفكاك من أسر القلق القاتل ! إنه لصراع عنيف « نضال مخيف ولكن تمالكي روعك وأمسكي عليك صوابك وتذرعي بالصبر فلسوف يأتيك الفوز من حيث لا تعلمين .. أجل ! »

فقالت السيدة الأنيقة في صوت خفيض مضطرب النبرات ، وقد علت وجهها بسمة حزينة : « أكتب عني يا « فلدمار » ..

أن حياتي عامرة مختلفة ألوانها ! . زاخرة بالمال والذهب .. بيد أني — على الرغم من ذاك — لا أذوق للسعادة طعماً ، ولا أجد الهناءة إلا حلماً ! . ما أنا إلا نفس معذبة وروح شقية في صفحة من صفحات « دستوفسكي » ! .

« عرف العالم بهذه النفس يا « فلدمار » ، وأذع خبر هذه الروح ذات الحظ العاثر والطالع النحس ! . لقد أوشكت أن تباغت من قلبي مبلغاً عظيما . ولعلك لا تجدني بعد ساعة في هذا القطار »

— « خبرني ! . ناشدتك الله .. خبريني ! . »

— « أعرني مسمعيك .. لقد كان أبي كاتباً في « الخدمة » قتر عليه رزقه .. وكان ذا قلب تعمره الطيبة ويفيض عطفاً وحنواً وذا عقل ليس بالعاطل من الفطنة والمعرفة .. بيد أن الزمام أفلت من يديه وهو في غاية العمر ، وتنكب جادة الرشد وهو على شفا القبر ! .. فأدمن الخمر وأغرق في الميسر .. وامتدت يده إلى الرشوة فلوثها ونسها ! . إني لا أضمر له لوماً .. بل طالما رثيت له وأشفقت عليه ! .

وأمي ! — ولكن ما الذي يدعوني إلى أن أمضي في هذا ! . التربة والعوز .. والنضال المرير في سبيل لقمة تسد الرمق ! .. والمشاعر التي تكتنف المرء لإحساسه بتفاهة شأنه وحقارة أمره في موكب الحياة الصاخب ! أوه ! دعني .. لا تدفعني إلى أن أبعث هذه الذكريات وأثير تلك الشجون .. لقد جاهدتُ في أن أشق سبيلي وأنت أدرى بحال التعليم في تلك المعاهد التي تأوي من يطلب العلم فيها ، وما يجتاح الشباب — وهو يتفتح — من خفقات ونزوات .. ثم هذه الخفقات الأولى بين الضلوع .. للحب الوليد ! إن ذلك لرهيب مهيب ! . الحيرة والاضطراب ، وتلك الآلام المبرحة التي تحز في النفس حزاً عند من يفقد يقينه بالحياة ! ...

أوه إنك مؤلف ! . وتدرك ما يغم قلوبنا .. معشر النساء !

لسوف تفهم كل شيء ! . كم كنت تعسة شقية ! : أتلمس السعادة وأى سعادة ! وأتوق إلى أن أطلق لروحى عنان الحرية ! أجل فها هنا .. تكمن سعادتى وتستكن راحتى ! . »

فتمتم « المؤلف » .. وهو يتهال على رسغها العاجى فيلثمه مرة أخرى عند السوار ! . « يالك من مخلوق رائع ! إنى لا أقبلك أنت .. بل أحيى فيك الإنسانية المعذبة .. ألا تذكرين « رسكولنكوف » وقبلته الخالدة ! .. »

— « أوه .. يافلدمار .. إنى لتواقة إلى المجد ، مشوقة إلى الرفعة ظامئة إلى الشهرة ! إنى لأحن إلى أمر غير هذه الأمور التى لاتفتأ تدور على وتيرة واحدة .. أمر غريب عجيب لا تألفه النساء ! .

وبعد هذا ! . ألقت إلى القادر قائداً عجوزاً عظيم الثراء وافر النعمة ! . هلا فهمتنى يافلدمار . لقد كانت تضحية بالنفس وأى تضحية ! . وإنكاراً للذات وأى إنكار ! ينبغى أن تعلم هذا !

لم يكن يوسى أمر غيره فقد علقت «الأسرة» آمالها وعقدت أمانيها على أن أقبله . كم عانيت منه فلشد ما أثار سخطى وأهاج بغضى فقد كان عناقه شيئاً كريهاً وحديثه تعافه النفس

وكنت — على الرغم منى — أظهر له اللطف وأتكلف الرقة ؛ إنها لحظات مريعة . بيد أن الرجاء كان يراود نفسى والأمل يداعبها فأمنيها اليوم الذى يوارى الرجل فيه التراب ويضمه اللحد . حينئذ سوف يخلو سبيلى ، فأحيا كما يروق لى وأهب نفسى إلى الإنسان الذى أعبده سعيدة راضية لا مجال للريب فى أنه ثمت إنسان يقع من النفس موقع الشغف يافلدمار »

وراحت السيدة الوضيئة تحرك مروحتها فى شيء من العنف والشدة وبدا وجهها وكأنما اتخذت سماته الأهبة للبكاء ، ومضت فى حديثها مستأنفة « وأخيراً خمدت أنفاس الرجل وذاق منيته فخلف لى نصيباً ليس باليسير . لقد صرت طليقه كالطائر الذى يحوم فى جو السماء فيقع على مايهوى إنها الساعة التى حانت فيها سعادتى أليس كذلك يا فلدمار ؟ لقد أقبلت السعادة تطرق نافذتى ولم يبق على إلا أن أدعها تدخل

ولكن أسمع يافلدمار فى هذه اللحظة التى كنت فيها أسمى الرجل الذى أهيم به حباً لأهبه نفسى وأصبح شريكة حياته ، وساعد عون له وناصرة لشوكته فأسعد به واستريح إليه

فى هذه اللحظة تبددت الأوهام وطارت الأحلام شعاعاً . إن حياتنا حقيرة تمجها النفس ، تافهة لا معنى لها . إنى يائسة أشد اليؤس ، يائسة أبلغ اليأس ..!

لقد كانت ثمت عقبة أخرى فى سبيلى فلما انتهيت أتلمس السعادة إذا بها نائية عنى بعيدة كل البعد ..أوه ! ما أشد هذا ألما وتبريحاً لو أنك تحس هذا الألم وتستشعر ذاك العذاب »

— « ولكن ما الذى قام فى سبيلك ونهض فى وجهك هذه المرة ؟ ! بالله خبرينى ما هو ؟ ! »

— « قائد عجوز آخر واسع الثراء فكأنى مثل الذى فر من الموت ، وفى الموت وقع »

وانسدلت المروحة « المحطمة » على الوجه الوضيء ، واعتمد « المؤلف » رأسه الضخم على راحة يده وأغرق فى لجة من الفكر وقد لاح فى هيئة الفيلسوف الحكيم

وانطلقت القاطرة تدوى بصفيرها وصليلها بينما اصطبغت سُجف النافذة بالحمرة الموردة وقد أشاعتها الشمس الغاربة !

« الدق »

مصطفى جميل مرسى

إعلان

مجلس مديرية المنيا

تقبل إدارة الهندسة القروية بالمنيا حتى ظهر يوم الأثنين ١٩ أبريل سنة ١٩٤٨ عطاءات عن عملية التركيبات الكهربائية لمركز رعاية الطفولة والأمومة ببندر الفشن وتطلب الشروط والمواصفات على صحيفة تمنة فئة ثلاثين مليما من الهندسة القروية نظير مبلغ ٣٠٠ مليما بخلاف ٢٠٠ مائتين مليما أجرة البريد ويمكن الاطلاع على الرسم بمكتب الإدارة بالمنيا

٩١١٤